من قولك هو يهجن كذا اى يقبحه ويستهجنه اى يستقبحه ثم نسبوا ما فى الانساب من القبح بزعمهم الى ربهم مثل
ان يقولوا للرجل انت عجمى ونحن عرب فان هذا ليس الى الانسان بل هو الى الله تعالى فاى ذنب له فيه قوله ع و
جاحدوا الله وكابروه وانكروا صنعه اليهم واناس بالمدجع اساس واعتزاء الجاهلية قولهم يا للفلان وسمع
ابى بن كعب رجلا يقول يا لفلان فقال عضضت بهن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فحاشا قال سمعت رسول
الله ص يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا قوله فلا تكونوا لنعمة الله اضدادا الا ان
البغى والكبر يقتضيان زوال النعمة وشبههما بالنقمة قوله ع ولا تطيعوا الادعياء مراده ههنا بالادعياء الذين
ينتحلون الاسلام ويبطنون النفاق ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم اى شربتم كدرهم مستبدلين
ذلك بصفوكم ويروى الذين ضربتم اى مزجتم ويروى شربتم اى اتبعتم واستبدلتم والاحلاس جمع حلس وهو
كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له فقيل لكل ملازم امر هو حلس ذلك الامر والترجمان بفتح التاء هو
الذى يفسر لسانا بغيره وقد تضم التاء ويروى ونثا فى اسماعكم من نث الحديث اى افشاه الاصل فلو رخص
الله فى الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه ورسله ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر ورضى لهم
التواضع فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا فى التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين وكانوا اقواما
مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره فلا تعتبروا
الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار فى موضع الغنى والاقتار فقد قال سبحانه وتعالى
أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون الشرح التكابر التعاظم و
العرض مقابلته لفظ التواضع ليكون الالفاظ مزدوجة وعفر وجهه الصقه بالعفر وخفضوا اجنحتهم الانوا
جانبهم والمخمصة الجوع والمجهدة المشقة وامير المؤمنين ع كثير الاستعمال المفعل ومفعلة بمعنى المصدر واذا تصفحت
كلامه عرفت ذلك ومحصهم اى طهرهم ويروى مخضهم بالخاء والضاد المعجمة اى حركهم وزلزلهم ثم نهى ان يعتبر
رضاء الله تعالى وسخطه بما نراه من اعطائه الانسان مالا وولدا فان ذلك جهل بمواقع الفتنة والاختبار وقوله
تعالى أيحسبون الآية دليل على ما قاله ع والادلة العقلية ايضا دلت على ان كثيرا من الالام والغموم والبلوى
انما يفعله الله تعالى للالطاف والمصالح وما الموصولة فى الاية يعود اليها محذوف مقدر لا بد منه والا كان الكلام
غير منتظم ولا مرتبط بعضه ببعض وتقديره نسارع لهم به فى الخيرات الاصل فان الله سبحانه يختبر عباده
المستكبرين فى انفسهم باوليائه المستضعفين فى اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هرون صلى الله
عليهما على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصى فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال الا عليهما السلم
تعجبون من هذين يشرطان لى دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القى عليهما
اساورة من ذهب اعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله سبحانه لانبيائه حيث
بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طيور السماء ووحوش
الارضين لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الانباء ولما وجب للقابلين اجور المبتلين
ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا لزمت الاسماء معانيها ولكن الله سبحانه جعل رسله اولى قوة
فى عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى وخصاصة تملأ
الابصار والاسماع اذى الشرح مدارع الصوف جمع مدرعة بكسر الميم وهى كالكساء وتدرع الرجل وتمدرع اذا
لبسها والعصى جمع عصا ويقول هذا سوار المرأة والجمع اسورة وجمع الجمع اساورة وقرئ فلولا القى عليه اساورة من
ذهب وقد يكون جمع اساور قال سبحانه يحلون فيها من اساور من ذهب قال ابو عمرو بن العلاء اساور ههنا جمع
اسوار وهو السوار والذهبان بكسر الذال جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان الذهب ايضا قوله ع واضمحلت
الانباء اى تلاشت وفنيت والانباء جمع نبأ وهو الخبر اى لسقط الوعد والوعيد وبطلا قوله ع ولا لزمت الاسماء معانيها

اى من يسمى مؤمنا او مسلما حينئذ فان تسميته مجاز لا حقيقة له لانه ليس يؤمن ايمانا من فعله وكسبه بل يكون ملجأ
الى الايمان بما يشاهده من الآيات العظيمة والمبتلين بفتح اللام جمع مبتلى كالمعطين والمرتضين جمع معطى ومرتضى
والخصاصة الفقر وهذا الكلام هو ما يقوله اصحابنا بعينه فى تعليل افعال البارى سبحانه بالحكمة والمصلحة وان
بالتكليف هو التعريض للثواب وانه يجب ان يكون خالصا من الالجاء ومن ان يفعل الواجب لوجه غير وجه وجوبه
ويرتدع عن القبيح لوجه غير وجه قبحه وروى ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ ان موسى قدم هو واخوه هرون
مصر على فرعون لما بعثهما الله تعالى اليه حتى وقفا على بابه يلتمسان الاذن عليه فمكثا سنتين يغدوان على بابه ويروحان
لا يعلم بهما ولا يجترئ احد على ان يخبره بشأنهما وقد كانا قالا لمن بالباب انا رسولا رب العالمين الى فرعون حتى
دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له ايها الملك ان على الباب رجلا يقول قولا عجيبا عظيما يزعم ان له
الها غيرك قال ببابى قال نعم قال ادخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه هرون اخوه فقال انا رسول رب العالمين
اليك وذكر تمام الخبر فان قلت اى خاصية فى الصوف ولبسه ولم اختاره الصالحون على غيره قلت ورد فى الخبر
ان اول لباس لبسه آدم لما هبط الى الارض صوف كبش قيضه الله له وامره ان يذبحه فياكل لحمه ويلبس صوفه
لانه اهبط عريانا من الجنة فذبحه وغزلت حواء صوفه فلبس آدم منه ثوبا والبس حواء ثوبا آخر فلذلك صار
شعار الاولياء وانتسبت اليه الصوفية الاصل ولو كانت الانبياء عليهم السلام اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام
وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق فى الاعتبار وابعد لهم من
الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم وكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة
ولكن الله سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لامره و
الاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة الشرح تمد نحوه اعناق الرجال اى لعظمته اى
تؤمله المؤملون ويرجوه الراجون وكل من امل شيئا فقد طمح ببصره اليه معنى لا صورة فكنى عن ذلك بمد
العنق وتشد اليه عقد الرحال تسافر ارباب الرغبات اليه يقول لو كان الانبياء ملوكا ذوى باس وقهر لم يكن
ايمان الخلق وانقيادهم اليهم لان الايمان فى نفسه واجب عقلا بل كان لرهبة لهم او رغبة فيهم فكانت النيات
مشتركة هذا الفرض سؤال وجواب عنه كانه قال لنفسه لم لا يجوز ان يكون ايمانهم على هذا التقدير لوجوبه ولخوف ذلك
النبى او لرجاء نفع ذلك النبى فقال لان النيات يكون حينئذ مشتركة اى يكون المكلف قد فعل الايمان لكلا الامرين
وكذلك تفسير قوله والحسنات مقتسمة قال ولا يجوز ان تكون طاعة الله تعالى تفعل الا لكونها طاعة له لا غير ولا
يجوز ان يشوبها ويخالطها من غيرها شائبة فان قلت ما معنى قوله لكان ذلك اهون على الخلق فى الاعتبار وابعد لهم
من الاستكبار قلت اى لو كان الانبياء كالملوك فى السطوة والبطش لكان المكلف لا يشق عليه الاعتبار والانزجار
عن القبائح مشقته عليه اذا تركها لقبحها لا لخوف السيف وكان بعد المكلفين عن الاستكبار والبغى لخوف السيف و
التأديب اعظم من بعدهم عنهما اذا تركوهما لوجه قبحهما فكاد يكون ثواب المكلف اما ساقطا واما ناقصا الاصل
وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل الا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من
لدن آدم ع الى الآخرين من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس
قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين جبال خشنة
ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم امر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم
نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوى اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوى
فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد
نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا
مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله تعالى سببا لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره

Copyright ... University